التمـــهـــيـــــد

التعريف بأهل الكتاب وأسباب انحرافهم

وفيه مبحثان:

المبحـث الأول: التعريـف بـاليهود وأسـباب انحـرافهم، وفيـه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف باليهود.

المطلب الثاني: أسباب انحراف اليهود.

المبحث الثـاني: التعريـف بالنصـارى وأسباب انحـرافهم، وفيـه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بالنصارى.

المطلب الثاني: أسباب انحراف النصارى.

أهل الكتاب:

يُطلق على اليهود والنصارى معًا (أهل الكتاب)، إشارة إلى أن أديانهم سماوية منزلة من الله تعالى إليهم بكتاب، وأحيانًا يطلق على أحدهما[1].

والكتاب هو: التوراة المنزلة على موسى – عليه السلام –، والإنجيل المنزل على عيسى – عليه السلام –[2].

(١) الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة . للدكتور ناصر العقل والدكتور ناصر القفاري – دار كنوز إشبيليا – الرياض، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص(٧٠)، وانظر: الملل والنحل لأبي الفتح الشهرستاني، دار مكتبة المتنبي بيروت (ط٢)، ١٩٩٢م، ص(٩٣)، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن قيم الجوزية ، دار ابن حزم – بيروت، (ط١)، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م ص(١٤)، قاموس الأديان الكبرى الثلاث اليهودية – المسيحية – الإسلام. جمع وتحقيق: نور الدين خليل، مؤسسة حورس للنشر الدولية، الإسكندرية، ٢٠٠٨م، ص(٢٢) .

(٢) السابق.

المبحث الأول
التعريف باليهود وأسباب انحرافهم
المطلب الأول: التعريف باليهود

١ – تسميتهم باليهود:

سميت اليهود بذلك اشتقاقًا من (الهود)، وهو التوبة والرجوع، يقال هاد الرجل: أي رجع وتاب[١]. قال عز وجل في ذكره لدعاء موسى عليه السلام: ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ [٢].

وقيل: إنهم سموا باليهود نسبة إلى يهوذا؛ أحد أسباط بني إسرائيل.

وقد وردت تسميتهم في القرآن الكريم بـ «قوم موسى»، و«بني إسرائيل» نسبة إلى نسل يعقوب – عليه السلام – وسموا بـ «العبرانيين»، وذلك لكثرة انتقالهم وارتحالهم من مكان إلى آخر، وهي مشتقة من العبور، وتعني هذه الكلمة: الغريب الذي لا حقوق له، وكذلك يطلق عليهم أهل الكتاب، وهم أمة موسى – عليه السلام –[٣].

---

(١) لسان العرب لابن منظور، دار صادر – بيروت، (ط١) ص(٣/٤٣٩) مادة (هود)، انظر: الملل والنحل ص(٩٥).

(٢) سورة الأعراف، الآية: (١٥٦).

(٣) انظر: الملل والنحل (٩٥)، المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم. د. محمد البار، دار القلم – دمشق، الدار الشامية، بيروت، (ط١) ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص(٣١)، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية: د. سعود الخلف، دار أضواء السلف الرياض، (ط٥)، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص(٤٧)، اليهودية بين الوحي الإلهي والانحراف البشري د. فرج الله عبد الباري، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٤م، ص(٢٣)، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: د. عبد الوهاب المسيري، دار الشروق، القاهرة، (ط٦)، ٢٠١٠م، (١/١٠١، ١٠٣).

٢ – مصادر العقيدة اليهودية[١]:

أ – التوراة، وفيها خمسة أسفار:

سفر التكوين أو الخلق: هو أول أسفار التوراة، يحكي قصة خلق السموات، والأرض، وينتهي بموت يوسف – عليه السلام –.

سفر الخروج: وهو ثاني أسفار التوراة، يتحدث عن قصة بني إسرائيل من بعد موت يوسف – عليه السلام – إلى خروجهم من مصر، وما حدث لهم بعد الخروج مع موسى – عليه السلام –.

سفر اللاويين: يتضمن هذا السفر أمورًا تتعلق بأولاد هارون، باعتبار أنهم المكلفون بالأمور الدينية، وبالمحافظة على الشريعة، وتعليمها الناس، كما يتضمن هذا السفر بعض الشعائر الدينية الأخرى.

سفر العدد: وهو معني بعدد بني إسرائيل، ويتضمن توجيهات وحوادث حدثت من بني إسرائيل بعد الخروج.

سفر التثنية: ويعني تكرير الشريعة، وإعادة الأوامر والنواهي عليهم مرة أخرى، وينتهي هذا السفر بذكر موت موسى عليه السلام وقبره.

وهناك أسفار أخرى الحقت بالتوراة، وهي ما تسمى عند اليهود «تناخ»، وهي:

– الأسفار التاريخية وهي أسفار تحكي تاريخ بني إسرائيل من موت موسى – عليه السلام

(١) انظر: قاموس الكتاب المقدس: لنخبة من كبار رجال اللاهوت، مكتبة المشعل الإنجيلية، بيروت (ط٦)، ١٩٨١م، ص(٢٢٢)، قصة الديانات سليمان مظهر، مكتبة مدبولي – القاهرة، ت١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ص(٣٦٤)، اليهودية بين الوحي الإلهي والانحراف البشري ص(٢٨ – ٣٢)، المدخل لدراسة التوراة ص(١٨١ – ٢٠٠)، اليهودية والنصرانية للخلف (٧٦، ١٢٢)، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، د. مانع حماد الجهني، دار الندوة العالمية للنشر، الرياض، (ط٤)، ١٤٢٠هـ، (١/٥٠٠).

– إلى ما بعد العودة من السبي البابلي، وإقامة الهيكل، وقصة يونس – عليه السلام – مع قومه.

– أسفار الأنبياء، وهي أسفارٌ يغلب عليها طابع الرؤى والتنبؤات بما سيكون من حال بني إسرائيل، ووعود بالعودة والنصر.

– أسفار الحكمة والشعر (الأسفار الأدبية).

– سفر الابتهالات والأدعية.

ب – التلمود:

يعتبر اليهود التلمود خلاصة الشريعة الشفهية، ومجموعة قوانين اليهود السياسية والمدنية والدينية. فهو الشريعة الشفهية المنزلة على موسى – عليه السلام – والتي تناقلها حاخامات اليهود سرًا جيلاً بعد جيل، وعلى هذا فالتوراة هي الشريعة المكتوبة، والتلمود هو الشريعة الشفهية التي زعموا أن موسى – عليه السلام – كان يقولها.

٣ – الفِرق اليهودية[١]:

لقد تشعبت اليهود إلى أكثر من فرقة وجماعة قديمًا وحديثًا، وبين هذه الفرق من الاختلاف في الأصول والفروع ما يوحي بأن كل فرقة لها دين مستقل عن الأخرى، وإن كانوا في الظاهر يحسبهم المسلمون على قلب رجل واحد، إلا أنهم متفرقون، وقد اجتهد علماء الفرق والأديان في رصد الافتراق لدى اليهود قديمًا وحديثًا. ومن أهم هذه الفرق:

(١) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل: لابن حزم الظاهري، دار الكتب العلمية – بيروت، (ط٢)، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، (١/١١٧ – ١١٨)، المدخل لدراسة التوراة ص(٢٣٩)، اليهودية والنصرانية للخلف (١٤٣ – ١٥٢)، واليهودية بين الوحي الإلهي ص(٣٦)، الموسوعة الميسرة (١/٤٩٩)، قاموس الكتاب المقدس (١/٤٤٩، ٥٣٩، ٦٧٤).

١ – السامريون[(١)]:

جماعة من اليهود سكان السامرة وهي منطقة نابلس في الضفة الغربية من فلسطين، لايعرفون حرمة لبيت المقدس، ولا يعظمونه، ولهم توراة غير التوراة التي بأيدي سائر اليهود، ويبطلون كل نبوة كانت في بني إسرائيل بعد موسى - عليه السلام – وبعد يوشع – عليه السلام -، ولا يقرون بالبعث البتة.

٢ – الصدوقيون[(٢)]:

نسبوا إلى رجل يقال له «صدوق»، وهم يقولون من بين سائر اليهود إن العُزير هو ابن الله[(٣)] – تعالى الله عن ذلك -.

لا يؤمنون بالتلمود، وسائر الروايات الشفوية، وإنما يقرون بالتوراة فقط، وينكرون البعث، والقضاء، والقدر، والملائكة.

٣ – العنانية (القراءون) [(٤)]:

ينتسبون إلى رجل يسمى «عنان بن داود» اليهودي، ويطلق عليهم القراءون نسبة إلى المصدر العبرى «قرائيم»، ومعناه الذين يقرؤون المقرأ.

لا يعترفون إلا بالعهد القديم، يقولون بالبعث.

---

(١) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/١١٧ – ١١٨)، المدخل لدراسة التوراة ص(٢٣٩)، اليهودية والنصرانية للخلف (١٤٣ – ١٥٢)، واليهودية بين الوحي الإلهي ص(٣٦)، الموسوعة الميسرة (١/٤٩٩)، قاموس الكتاب المقدس (١/٤٤٩، ٥٣٩، ٦٧٤).

(٢) انظر: المراجع السابقة.

(٣) هم الذين قال فيهم جلا وعلا: ﴿وقالت اليهود عزير ابن الله﴾[التوبة، الآية: (٣٠)].

(٤) انظر:هامش (١).

٤ – الفريسيون (الربانيون) [1]:

الفريسيون واحدها فريسي، وهي كلمة آرامية، تعني ذا الرأي والعلم بالأمور، يؤمنون بسائر كتب العهد القديم مع التلمود. وتمثل هذه الفرقة أغلبية اليهود.

٥ – العيسوية[2]:

هم أصحاب أبي عيسى الأصبهاني، رجل من اليهود كان بأصبهان، وهم يقولون بنبوة عيسى عليه السلام لبني إسرائيل، وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم لبني إسماعيل – عليه السلام – ولسائر العرب.

٦ – الحسيديم[3]:

فرقة من فرق اليهود، متأخرة النشأة، و(حسيديم) مشتقة من الكلمة العبرية (حسيد) والتي تعنى المنقي، والناذر نفسه للدين، وهم صوفية منشقة عن الفريسين. يعظمون التلمود، ويقبلون أقواله، إلا أن لهم تفسيراتهم الباطنية الخاصة بذلك.

٧ – الإصلاحيون[4]:

هي فرقة من الفرق المعاصرة التي تحاول التملص من تشديدات اليهود، وتسلط الحاخامات، لا يقبلون من العهد القديم إلا ما يوافق العصر، وينكرون التلمود، ودعوى المسيح

---

(١) انظر: المدخل لدراسة التوراة ص(٢٣٩)، اليهودية والنصرانية للخلف (١٤٣ – ١٥٢)، واليهودية بين الوحي الإلهي ص(٣٦)، الموسوعة الميسرة (٤٩٩/١)، قاموس الكتاب المقدس (٤٤٩/١، ٥٣٩، ٦٧٤).

(٢) انظر: الفصل (١١٧/١ – ١١٨)، المدخل لدراسة التوراة ص(٢٣٩)، اليهودية والنصرانية للخلف (١٤٣ – ١٥٢)، واليهودية بين الوحي الإلهي ص(٣٦)، الموسوعة الميسرة (٤٩٩/١)، قاموس الكتاب المقدس (٤٤٩/١، ٥٣٩، ٦٧٤).

(٣) انظر: السابق.

(٤) انظر: السابق .

المنتظر، والبعث.

٨ – الأرثوذكسية[١]:

الأرثوذكسية، هو المسمى الذي يطلق على اليهود الذين يدينون بالكتاب المقدس مع التلمود مع جميع العصبيات اليهودية. وهم امتداد للفريسين تجمعهم الأكبر في فلسطين.

٩ – المحافظون[٢]:

هم طائفة كبيرة أيضًا من اليهود، حاولوا التوسط بين انفلات الإصلاحين وتشدد الأرثوذكس، يعتبرون التوراة وحياً ، أما التلمود فيعتبرونه نتاجاً ثقافياً لليهود.

١٠– الصهيونية[٣]:

الصهيونية مذهب علماني سياسي، أهم أهدافه هو تجميع اليهود في فلسطين.

(١) انظر: المدخل لدراسة التوراة ص(٢٣٩)، اليهودية والنصرانية للخلف (١٤٣ – ١٥٢)، واليهودية بين الوحي الإلهي ص(٣٦)، الموسوعة الميسرة (٤٩٩/١)، قاموس الكتاب المقدس (٤٤٩/١، ٥٣٩، ٦٧٤).

(٢) انظر: السابق.

(٣) انظر: السابق.

المطلب الثاني: أسباب انحراف اليهود[1]

إن التحريف الحاصل في الديانة اليهودية ما هو إلا نتيجة لازمة نتجت عن انحراف اليهود أنفسهم، والذي كان مدفوعًا من عدة أسباب جاءت مجتمعة في عصر، وافترقت في عصور أخرى. منها أسباب داخلية نابعة من داخل اليهود أنفسهم، أو خارجية من قبل المجتمعات والشعوب الأخرى الذين عاصرهم اليهود في تاريخهم الطويل الزاخر بأحداث تاريخية، تحمل في طياتها الكوارث والهزائم والشتات الذي حل بهم.

ومن هنا سأبدأ بعرض لتاريخ اليهود بداية من دُخول يعقوب – عليه السلام – إلى أرض مصر.

فقد انتقل يعقوب – عليه السلام – بأولاده من بادية فلسطين إلى مصر بعد أن مكن الله ليوسف – عليه السلام – في أرض مصر، حينها كان اليهود شعبًا مؤمنًا بين وثنيين، فاستقلوا بناحية من الأرض أعطاهم إياها فرعون مصر، فعاشوا عيشة طيبة، ولكن تغير الحال بعد وفاة يوسف – عليه السلام – حيث انقلب عليهم الفراعنة طغيانًا وعتوًا، واستضعافًا لبني إسرائيل، وعن ذلك يحدثنا القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا

---

(١) مادة هذا المبحث: انظر: قاموس الكتاب المقدس (١/٧٩ – ١٥٢ – ٩٥٥) (٢/٧٩٥)، الكامل في التاريخ لأبي الحسن الشيباني ابن الأثير ت. عبد الله القاضي. دار الكتب العلمية. بيروت، (ط٢)، ١٤١٥هـ، ج(١)، قصة الحضارة: ول ديورانت. دار الجيل، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م (١١/١٥٧ – ١٩٦)، الموسوعة اليهودية (١/٤٠١ – ٤٢٤)، الموسوعة الميسرة للأديان (١/٤٩٥ – ٤٩٩)، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند: د. محمد ضياء الدين الأعظمي، مكتبة الرشد، الرياض (ط١)، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص(٦٧ – ١١٥)، اليهودية والنصرانية (٤٩ – ٦١)، تأثر المسيحية بالأديان الوضعية، د. أحمد علي عجيبة، دار الآفاق العربية، مصر (ط١)، ٢٠٠٦م، ص(٣١٣ – ٣٢٣)، الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه، د. أحمد علي عجيبة، دار الآفاق العربية، مصر (ط١)، ٢٠٠٦م، ص(٦١ – ٦٩)، المدخل لدراسة التوراة (٥٣ – ١٠٨)، قصة الديانات (٣٣٢ – ٣٦٠)، المسيحية: د. أحمد شلبي، مكتبة النهضة، مصر (ط١٠)، ١٩٩٣م، ص(٤٦).

يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾[1]، وقد كان انقلاب الفراعنة على بني إسرائيل لعدة أمور، منها:

١ – أن بني إسرائيل كانوا يعملون كجواسيس على الفراعنة المصريين لدى أعدائهم الساميين.

٢ – كره بني إسرائيل للمصريين؛ نظرًا لأن بني إسرائيل كانوا على دين التوحيد، بينما كان المصريون يعبدون الأصنام والحيوانات.

٣ – اعتزال بني إسرائيل الشعب المصري. الأمر الذي دفع بني إسرائيل للاشتغال بالتجارة، واستصلاح الأراضي، وجمع المال بشراهة؛ ومن ثَمَّ بدأُ بتسخير المصريين في العمل عندهم.

استمرت محنة الفراعنة على بني إسرائيل زمنًا طويلاً، إلى أن بعث الله موسى عليه السلام، والذي قُوبلت دعوته من فرعون مصر بالغطرسة والكبر، واستمرار التعذيب لبني إسرائيل، حتى أوحى الله لموسى عليه السلام بالخروج ببني إسرائيل من مصر.

خرج موسى عليه السلام من مصر ببني إسرائيل، فحدث من بني إسرائيل بعد خروجهم من مصر حوادث عدة: من هذه الحوادث طلبهم من موسى عليه السلام أن يجعل لهم صنمًا إلهًا، قال تعالى عن ذلك: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾[2]، ومنها عبادتهم للعجل، وذلك لما ذهب موسى لموعده مع ربه، ونكولهم عن قتال الجبابرة حين دعاهم موسى – عليه السلام – لقتال الجبابرة الذين كانوا يسكنون الأرض المقدسة.

---

(١) سورة القصص، الآية: (٤).

(٢) سورة الأعراف، الآية: (١٣٨).

بعدها حكم الله عز وجل عليهم بالتيه قال تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (1)، ومات موسى عليه السلام في هذه الفترة.

وبعد انقضاء المدة المحكوم على بني إسرائيل فيها بالتيه، فتح بنو إسرائيل الأرض المقدسة بقيادة النبي يوشع بن نون عليه السلام.

وبدخول بني إسرائيل الأرض المقدسة بدأ تاريخ جديد لليهود، انقسم إلى ثلاثة عهود:

١ – عهد القضاة : وذلك بعد دخول الأرض المقدسة قَسَمَ يوشع بن نون الأرض المفتوحة على أسباط بني إسرائيل، وجعل على جميع الأسباط قاضيًا واحدًا يحتكمون إليه فيما شجر بينهم، واستمر هذا العهد أربعمائة عام. وفي هذا العهد كانت هناك حروب دائمة بين بني إسرائيل وبين أعدائهم، يكون النصر فيها لبني إسرائيل مرة، ولأعدائهم أخرى.

٢ – عهد الملوك : وهو العهد الذي بدأ فيه الحكم ملكيًا، حكم فيهم طالوت وملك عليهم بعده داود عليه السلام، ثم ابنه سليمان عليه السلام، فبنى مدينة أورشليم، واشتهر في العالم كله شهرة فائقة.

ولما مات انقسم ملكه إلى قسمين نتيجة تنازع الأمر بين أبناء سليمان عليه السلام، فبدأ العهد الثالث لبني إسرائيل، وهو عهد الانقسام.

انقسمت مملكة سليمان إلى قسمين، فتسمى القسمان بمملكتي: يهوذا، وإسرائيل.

فكان هذا الانقسام شرًا عليهم؛ إذ وقعت المملكتان في حرب دموية مستمرة، وزادوا بأن صار بعضهم يتحد بالأجانب لقتال بعض.

في السنة ٦٠٣ ق.م تقريبًا، شن فراعنة مصر الوثنيين الغارة على أورشليم، فنهب معبدها، وفرض عليهم الجزية.

---

(١) سورة المائدة، الآية: (٢٦).

وفي السنة ٧٢١ ق. م سقطت دولة إسرائيل على يد الأشوريين[١]، فسبى شعبها، وكان هذا السبي الأول، وأُسكنوا في العراق، ولم تقم لدولة إسرائيل بعدها قائمة.

وهكذا بقي بنو إسرائيل خلال ثلاثة قرون بين الارتقاء والانحطاط؛ ففي القرن السادس قبل الميلاد قام «بختنصر[٢] البابلي» بغزو دولة يهوذا، فحاصر أورشليم، ونهبها، وأسر كثيرًا من أهلها، وساقهم إلى بابل عبيدًا وخدمًا ، وهذا ما يسمى بالسبي البابلي. وقام بتخريب وإحراق بيت المقدس، وأزال عنه جميع الآثار، وأحرق كل بيوت أورشليم، وكل بيوت العظماء، فقضى بذلك على مملكتي إسرائيل ويهوذا.

وفي هذه الفترة لم يسمح لليهود بالعودة إلى بلادهم إلا بعد عام ٥٣٨ ق. م حين انهارت الإمبراطورية البابلية[٣] على يد هجمات «كورش»[٤] مؤسس الدولة الفارسية الذي سمح لليهود

---

(١) الأشوريون: نسبة لمدينة «آشور»، وهي عاصمة لهم، تقع أطلالها على الجانب الأيمن من نهر دجلة، يرجع أصلهم إلى القبائل السامية التي استقرت قبل الميلاد شمال وادي الرافدين دياناتهم الوثنية. انظر: قاموس الكتاب المقدس (٧٩/١ – ٨١)، موسوعة اليهود واليهودية (٣٩٢/١)، دائرة معارف القرن العشرين. محمد فريد وجدي، مطبعة دائرة معارف القرن العشرين مصر. (ط٤)، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م (٢٨٢/١).

(٢) «بختنصر» اسم بابلي معناه (حامي الحدود)، حكم الإمبراطورية البابلية في ما بين النهرين وسورية، كان والده مؤسس الدولة البابلية الجديدة سنة ٦٢٥ ق. م، تولى بختنصر الحكم بعد وفاة والده، وقام طول حياته بفتوحات كثيرة، وعلى يده سقطت دولة يهوذا، وتعرض اليهود للسبي البابلي الذي كان له الأثر الكبير في حياة اليهود.
انظر: قاموس الكتاب المقدس (٩٥٥/١)، الكامل في التاريخ (١٥٣/١).

(٣) نسبة إلى بابل، وهي مدينة تقع أنقاضها على بعد (٥٥) كيلو مترًا من بغداد، وكلمة بابل يراد بها «بوابة الإله» بلغت هذه الإمبراطورية أوج حضارتها ومجدها في عهد بختنصر، دياناتهم الوثنية. انظر: قاموس الكتاب المقدس (١٥٢/١)، الكامل في التاريخ (١٩٨/١)، موسوعة اليهود واليهودية (٣٩٣/١).

(٤) (قورش) هو مؤسس الإمبراطورية الفارسية، ومعنى (قورش)أي:(الراعي)، افتتح في عهده عدة ممالك، كان قوي الشخصية، أشهر المدن التي افتتحها بابل، سمح لليهود الموجودين في بابل بالعودة إلى القدس ليعيدوا بناء الهيكل، وكان بذلك يسعى لإعادة اليهود إلى وطنهم، ويحرز بذلك مكانًا بارزًا لدى الجماعات اليهودية. انظر: قاموس الكتاب المقدس (٧٩٥/٢)، الكامل في التاريخ (٢٠٤/١)، موسوعة اليهود (٤١٧/١).

بالعودة إلى بلادهم، ولكن أكثر اليهود كانوا قد ألفوا الحياة البابلية بين الشعب البابلي الوثني، وامتدت أعراقهم، وعرفوا بها خصب العيش والتجارة الرابحة، ومن ثم فقد ترددوا طويلاً في العودة إلى أن استقر رأي الأغلبية الساحقة على البقاء.

إلا أن اليهود لم ينعموا كثيرًا بحكم بلادهم تحت سيادة الفارسيين، فقد أغار عليهم الإسكندر[١] المقدوني مضمرًا لهم شرًا بسبب انحيازهم إلى الفرس، فاحتل القدس، وبعد وفاته صارت فلسطين في أيدي السلوقيين[٢]، وظلت مسرحًا للاضطرابات، وأثقلوا كاهل اليهود بالضرائب، واضطهدوهم من أجل دينهم أكبر اضطهاد ، فنصبوا التماثيل في معابد اليهود، ومنعوهم عن الختان، وأمروهم بالتضحية بالخنازير ، ومن تمسك بدينه منهم قتل، واستمر هذا الاضطهاد حتى وقعت البلاد تحت حكم الإمبراطورية الرومانية[٣]، وبذلك زال حكم اليونانيين عنها، ودخل اليهود تحت حكم الرومان، وسيطرتهم.

استمر اليهود تحت الحكم الروماني في حالة من الضعف والهوان إلى أن توهموا القوة، فثاروا على الدولة الرومانية، مما جعل القائد الروماني تيطس[٤] عام ٧٠م يجتهد في استئصالهم، والفتك بهم، وسبي أعداد كبيرة منهم وتهجيرها، ودمّر بيت المقدس، وأحرق الهيكل، وكان هذا هو التدمير الثاني، ولم يكن الأخير فقد توالى حكام الإمبراطورية الرومانية بغاراتهم للفتك باليهود، وزيادة تدمير

---

(١) الإسكندر المقدوني (٣٥٦ – ٣٢٣ ق. م)، ملك مقدونيا مؤسس الإمبراطورية اليونانية التي ضمت فلسطين وبابل بجماعتها اليهودية الكبيرة. انظر: الكامل في التاريخ (١/٢١٥)، موسوعة اليهود (١/٤٢٠).

(٢) «السلوقيون» هم أسرة يونانية حاكمة، تركزت في سوريا، وحكمت آسيا الصغرى، أشتهر عنهم اضطهادهم لليهود ونهبوا الهياكل الدينية، ومنها الهيكل اليهودي. انظر: الكامل في التاريخ (١/٢١٥)، موسوعة اليهود (١/٤١٨).

(٣) الإمبراطورية الرومانية نسبة إلى مدينة روما التي أسست في القرن الثاني قبل الميلاد، كانت إمبراطورية مترامية الأطراف، ضمت معظم بلاد البحر الأبيض المتوسط، ومنها فلسطين ومصر، وأحيانًا أجزاء من بلاد الرافدين، كما ضمت أغلبية اليهود في ذلك الوقت. انظر: الكامل في التاريخ (١/٢٢٥ – ٢٤٨)، موسوعة اليهود (١/٤٢٠).

(٤) تيطس قائد روماني، وهو ابن لإسفيانوس ملك الروم وهو من قام بالقضاء على تمرد اليهود في بيت المقدس، تولى الحكم الروماني بعد والده. الكامل في التاريخ (١/٢٢٥).

الهيكل عام ١٣٥م، وحرموا عليهم أن يدخلوا المدينة المقدسة، وأرغموا على تسليمها للوثنية، فبنى هيكلاً وثنيًا مكان الهيكل المقدس لآلهة الرومان، وشرد اليهود في كل ولاية من ولايات الدولة الرومانية ، وبذلك انتهى تاريخ اليهود كأمه ودولة، وتفرقوا في جميع البلاد.

بعد أن استعرضنا تاريخ اليهود الحافل بالأحداث التاريخية، والتي تمثلت بتكرار الهزائم، والاضطهادات والحروب في الداخل ومن الخارج، والشتات والاستعباد... يمكننا القول: (بأن تاريخ اليهود، تاريخ طويل ومركب، ويغطي عدة أزمنة وأمكنة، لا يربطها رابط في كثير من الأحيان) [(١)].

ومن خلال استقراء وعرض الظروف والأحداث التاريخية التي مرت على اليهود تتبين الأسباب التي أدت إلى انحراف اليهود:

— الحضارات الوثنية التي عاصرها اليهود، وبدأ بالحضارة الفرعونية المصرية، فالأشوريين، فالبابليين ، فالفرس، فالإغريق ثم في النهاية الرومان.

فمعاصرة اليهود لهذه الحضارات الوثنية أدى بهم إلى التأثر بثقافاتهم، وأفكارهم، ولغاتهم. فبعد خروجهم من مصر، ورؤيتهم عباد الأصنام، بدا لبني إسرائيل أنهم يستطيعون أيضًا رؤية إلههم متجسدًا كما كانوا يرون المصريين ، وقاموا بذلك، مما يدل على أن قلوبهم ألفت هذه الوثنية عقب حقبة زمنية عاشوها في مصر، وفي فترة السبي البابلي حينما كان زمام الأمور بأيدي البابليين والفارسيين وجدنا هؤلاء اليهود قد تأثروا بثقافاتهم، فاستخدموا لغتهم، وكان لهذا تأثيره على دينهم؛ حيث تولدت لديهم فكرة المخلص الذي يخلصهم من سبيهم، ويحررهم من عبوديتهم.

وعاش اليهود في المنفى محاكين سادتهم من البابليين في عاداتهم، وتخلقوا بأخلاقهم، وعبدوا آلهتهم، وإن كان فريق ضئيل منهم تمسك بعقائده وتقاليده.

وإبان السبي الفارسي تمثل اليهود شيئًا من ديانات الفرس الوثنية.

---

(١) انظر: من هم اليهود؟ وما هي اليهودية؟ عبد الوهاب المسيري، دار الشروق، القاهرة، (ط٦)، ٢٠٠٩م، ص(١٢٣) بتصرف.

فقد استعاروا منهم الاعتقاد بمجيء المسيح المنتظر ، كذلك تأثروا بالثقافة اليونانية، بل واستهوتهم لدرجة كبيرة، وظل هذا التأثير واضحًا فيهم حتى وقت ظهور المسيح – عليه السلام – حيث اتصفوا بالمرونة، فقل تعصبهم لقوميتهم، حتى أن البعض منهم نسي لغته الأصلية – اللغة العبرية – واستخدم اللغة اليونانية بدلاً منها في حياتهم، مما تعذر على العامة منهم قراءة التوراة بلغتها الأصلية ، فكان من الضروري ترجمتها لليونانية، فقام على ترجمتها أشخاص تأثروا بالأساليب الإغريقية. وأصبحت مراسم العبادة عندهم تقام باليونانية ، كذلك قلدوهم في عاداتهم، وتقاليدهم، وتسموا بأسمائهم. مما يدل على أن اليهود لم يحتفظوا بصورتهم اليهودية كاملة، وعلى أنهم فقدوا الكثير من مقومات حياتهم القومية.

أيضًا فشت بين اليهود -إلى حد ما- النزعة اليونانية، وهي نزعة الجمع والمزج بين الآراء المختلفة، وكان لذيوعها بينهم أثر على دينهم اليهودي؛ لذلك قلدوهم في كل أمورهم، حتى وصل الأمر ببعضهم إلى المزج والتوفيق بين الفلسفة اليونانية والعهد القديم.

لقد مكنت حياة اليهود في وسط شعوب الحضارات الوثنية لهم الاطلاع على الديانات الوثنية التي كانت شائعة في العالم آنذاك، وهيأت لهم الظروف أيضًا أن يتعرفوا على الفكر الوثني، وأهم الأفكار والعقائد التي تشغل بال الشعوب الوثنية، واستطاعوا من خلال معايشتهم للوثنيين أن يتعرفوا أيضًا على أهم الخصائص التي كانت تجذب الناس إلى هذه الديانات.

ومعاصرة اليهود لهذه الشعوب الوثنية، وتأثرهم بثقافاتهم، جذبت طائفة من الوثنيين لاعتناق الديانة اليهودية، مع الاحتفاظ بثقافاتهم وأفكارهم، بل وربما تعديل بعض الأفكار اليهودية بما يتفق مع أفكارهم الوثنية.

- الحروب والاضطهادات المتوالية: بدأ باليهود فيما بينهم كما حصل في عهد الانقسام ، ومن الخارج على أيدي المصريين، والآشوريين، والبابليين، والرومان.

فقد أدت هذه الحروب الداخلية والخارجية إلى إضعاف الشعب اليهودي وإذلاله، فوقعوا

في السبي والاستعباد على يد الآشوريين، والبابليين ، والرومان، الأمر الذي دفع بالكثير منهم إلى التخلي عن هويته، واندماجهم في محيط تلك القوى المسيطرة عليهم للتعايش.

- انقسام اليهود إلى جماعات دينية متناحرة، وجماعات وظيفية محلية تضم الأثرياء وكبار الكهنة الموالين لتلك القوى المسيطرة. وطبقات شعبية من اليهود الفقراء.

وقد لاقت هذه الطبقة الظلم من الجماعات اليهودية الشاغلة للوظائف المحلية، وذلك من خلال ما فرض عليهم من ضرائب، رغم أنهم جميعًا من اليهود. كذلك أدت هذه الحروب والاضطهادات إلى اختلاف ولاء اليهود من عصر إلى عصر ؛ فقد أسهموا في تقديم المساعدات لكل قوى جديدة ترغب بإسقاط قوى سابقة، وساعدوا على خلق أرض خصبة للثورات، مما أدى إلى زيادة التوتر بينهم وبين الشعوب الأخرى، وإلى تعميق الكره لهم.

- شغف اليهود بالمادة دفعهم إلى إهمال الناحية الروحية ، وتذبذب أوضاع اليهود المادية والاجتماعية دفعهم إلى القيام بالعديد من التمردات ضد القوى المعادية لهم، وذلك من أجل تحقيق المكاسب المادية، والسطوة الاجتماعية، واضطرابات اليهود في الداخل والخارج دفعتهم إلى البحث عن الحل المناسب الذي من خلاله سيتحقق لهم التمكين في الأرض، والنصر على أعدائهم، واحتلال الأراضي المجاورة لهم، فزعموا بأنهم شعب الله المختار، وإلى تصور فكرة المسيح المخلص المنقذ؛ ليعيد لهم أمجادهم، ويرد لهم أرضهم وأموالهم.

المبحث الثاني
التعريف بالنصارى وأسباب انحرافهم

المطلب الأول: التعريف بالنصارى

النصارى نسبة إلى نصرانة، وهي قرية نشأ فيها المسيح – عليه السلام – من أرض الجليل، والنسبة إلى الديانة نصراني، وجمعه نصارى[1].

وهم أمة المسيح عيسى – عليه السلام – ، والنصرانية دين أتباع المسيح، ويطلق عليهم «النصارى»،«أهل الكتاب»،«أهل الإنجيل» نسبة إلى كتابهم الإنجيل، وهم يسمون أنفسهم بالمسيحيين، نسبة إلى المسيح، ويسمون دياناتهم «المسيحية»، ويريدون بذلك الديانة القائمة على اتباع الكتاب المقدس بعهديه القديم والحديث[2].

مصادر العقيدة النصرانية[3]:

المصادر التي يستمدون منها عقائدهم وشرائعهم هي:

١ – الكتاب المقدس (العهد القديم) وهو التوراة، والأسفار الملحقة بها.

---

(١) لسان العرب، لابن منظور، (٥/٢١١).

(٢) انظر: الملل والنحل للشهرستاني ص(١٠٠)، دائرة المعارف الحديثة، أحمد عطية الله، مكتبة الأنجلو المصرية – مصر، ت١٩٥٢م، ص(٦٢٧)، دائرة معارف القرن العشرين (١٠/١٩٧)، الموسوعة الميسرة للأديان (٢/٥٦٤)، قاموس الأديان الكبرى (١٣٠)، تحريف رسالة المسيح – عليه السلام – عبر التاريخ أسبابه ونتائجه: بسمة أحمد جستنية، دار القلم – دمشق، (ط١)، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ص(١٩)، المسيحية النصرانية، دراسة وتحليل: ساجد مير، دار السلام للنشر، الرياض، (ط١)، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ص(١١)، اليهودية والنصرانية، ص(١٦٥)، مصادر النصرانية دراسة ونقدًا: د. عبد الرازق الآرو، دار التوحيد، الرياض، (ط١)، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص(٤٣ – ٤٤)، قاموس الكتاب المقدس (٢/٨٨٩).

(٣) انظر: اليهودية والنصرانية (١٩٧)، مصادر النصرانية (١١٦)، المسيحية لساجد مير (١٦٧)، الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام. نهاد خياطة، الأوائل للنشر، سورية – دمشق، (ط٢)، ٢٠٠٤م، ص(٢٧).

٢ – الكتاب المقدس (العهد الجديد)، وهو مجموعة الأناجيل والرسائل الملحقة بها ، وهي إنجيل متى[١] ، إنجيل مرقص[٢] ، إنجيل لوقا[٣] ، وإنجيل يوحنا[٤] ، ورسائل بولس[٥] .

٣ – المجامع[٦] النصرانية وما جرى فيها من التشريعات.

(١) إنجيل متى هو أحد الأناجيل الأربعة التي تعترف بها طوائف النصارى، ينسب إلى كاتبه متى، وهو أحد الاثنى عشر رسولاً، وهو أطول الأناجيل الأربعة. انظر: قاموس الكتاب المقدس (٨٣٢/٢)، مصادر الديانة النصرانية (٣٧٩).

(٢) إنجيل مرقس هو الإنجيل الثاني، وهو أقصر الأناجيل، ينسب إلى كاتبه مرقس، يتكلم هذا الإنجيل عن حياة المسيح. انظر: قاموس الكتاب المقدس (٨٥٣/٢)، مصادر الديانة النصرانية (٤١٤).

(٣) إنجيل لوقا هذا هو الإنجيل الثالث في ترتيب أسفار العهد الجديد، ينسب هذا الإنجيل للوقا اختصار لوقاناس، وهو صديق بولس ورفيقه، ولوقا هذا يوناني عالي الثقافة. انظر: قاموس الكتاب المقدس (٨٢٣/٢)، مصادر الديانة النصرانية (٤٣٠).

(٤) إنجيل يوحنا هذا الإنجيل الرابع في ترتيب أناجيل كتاب النصارى المقدس، ينسب إلى كاتبه يوحنا الرسول. انظر: قاموس الكتاب المقدس (١١٠٩/٢)، مصادر الديانة النصرانية (٤٤٤).

(٥) بولس رسول الأمم، اسمه العبري شاول، أي مطلوب، ولد في طرسوس في زمن الإمبراطورية الرومانية كان عالي الثقافة، يهودي الديانة، ثم اعتنق الديانة النصرانية كرس حياته للديانة النصرانية تحت دعوى الدعوة للنصرانية، وهو في الحقيقة محارب للديانة النصرانية من الداخل. وانظر: قاموس الكتاب المقدس (١٩٦/٢ – ١٩٧)، اليهودية والمسيحية وأديان الهند (٤٨٠).

(٦) المجامع النصرانية هي هيئات شورية في الكنيسة المسيحية لبحث الأمور المتعلقة بالديانة النصرانية، وأحوال الكنائس، عُقد المجمع الأول في أورشليم عام ٥١ – ٥٢م، وهي نوعان مسكونية لتقرير عقائد جديدة يحضرها أسقافة من جميع الأنحاء ، ومجامع مكانية تعقد في دوائر خاصة من أسقافة كل كنيسة للنظر في الشئون المحلية. انظر: تأثر المسيحية بالأديان الوضعية ص(٢٦١)، قاموس الأديان الكبرى (١٩٨)، اليهودية والنصرانية (٢٤٩).

فرق وطوائف النصارى[1]:

انقسمت النصارى عبر التاريخ إلى فرق عدة، منها من وقع في الشرك والخرافات، ومنها من بقي على التوحيد، وهي كالتالي:

– **فرقة الملكانية**[2]: وهي مذهب جميع ملوك النصارى حيث كانوا – حاشا ملوك الحبشة والنوبة– يقولون بعقيدة التثليث، الأب، والابن، وروح القدس. وقد انقسمت الملكانية إلى ثلاث طوائف كبار، ما زالت موجودة حتى عصرنا الحاضر، وهي:

١ – **الكاثوليك،** وهم أتباع البابا في روما، وهي أعرق وأكبر الطوائف النصرانية، كنيستهم تسمى الكنيسة الكاثوليكية، أو الغربية، أو اللاتينية، أو البطرسية، أو الرسولية، ومعنى الكاثوليكية أي العامة، ولأنها تدعي أنها أم الكنائس.

سميت غربية أو لاتينية لامتداد نفوذها إلى الغرب، وبطرسية لأن أتباعها يدعون أن مؤسسها الأول بطرس الرسول، يتكون من هذه الكنيسة المجمع الكنائسي الذي يزعم النصارى بأنه يصدر إرادات بابوية سامية هي إرادات إلهية – تعالى الله عما يقولون علواً كبيرا–. يقولون بعقيدة التثليث.

٢ – **الأرثوذكس.** هم أتباع الكنيسة الشرقية أو اليونانية، وهي أحد الكنائس الرئيسة الثلاث، وقد انفصلت عن الكنيسة الكاثوليكية الغربية، أتباعها نصارى الشرق في القسطنطنية، يعتقدون ويقولون بأن الله الأب أفضل من الله الابن، وأن روح القدس انبثق عن الله الأب – تعالى

(١) انظر: الفصل في الملل والنحل (١/٦٤ – ٦٦)، الملل والنحل (١٠١ – ١٠٢)، المسيحية: د. أحمد شلبي، مكتبة النهضة، القاهرة، (ط١٠)، ١٩٩٣م، ص(١٩٩ – ٢١٨)، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند (٤٦١ – ٤٧٨)، الموسوعة الميسرة في الأديان (٢/٥٦٤ – ٦٤٣)، دائرة معارف القرن العشرين (١٩٨ – ٢٤٩)، دائرة المعارف الحديثة (٦٣ – ٥٢٥)، قاموس الأديان الكبرى (١١٨)، اليهودية والنصرانية للخلف (٣٧٢ – ٣٧٦)، الموجز في الأديان (٧٩).

(٢) انظر: السابق.

الله وتقدس عما يقولون -.

٣ - **البروتستانت** ويسمون **«الإنجيليون»** و**«المعارضون»** تسمى كنيستهم الكنيسة الإنجيلية ، وقُصد بهذه التسمية إلى أن أتباع هذه الكنيسة يتبعون الإنجيل دون غيره، ويفهمونه بأنفسهم، لا يخضعون لفهم سواهم له، مؤسسها الألماني (مارتن لوثر) في القرن ١٦م، وأتباعها في أوروبا وأمريكا الشمالية، وهي أخف الطوائف النصرانية تقديساً لرجال الكنيسة - كما وتعتقد الطوائف السابقة- بعقيدة التثليث قائلين بإله واحد مثلث الأقانيم: الأب، الابن، روح القدس تثليث في وحدة.

- **فرقة النسطورية**[١]: وهم أتباع نسطور الحكيم، ويقولون مثل قول الملكانية.

- **اليعقوبية**[٢]: أتباع الراهب يعقوب البرذعاني، يقولون إن الله هو المسيح نفسه، وإنه مات، وصلب، وقتل.

- **فرقة الآريسيون**[٣]: تنسب إلى القس «آريوس» المصري، كان من رهبان الإسكندرية، ومن قوله التوحيد المجرد، وإن عيسى عليه السلام عبد مخلوق.

- **فرقة الشمشاطي**[٤]: تنسب إلى بولس «الشمشاطي الأنطاكي»، كان ينكر ألوهية المسيح، ويرى أنه بشر ورسول.

---

(١) انظر: الفصل (١/٦٤ - ٦٦)، الملل والنحل (١٠١ - ١٠٢)، المسيحية ص(١٩٩ - ٢١٨)، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند (٤٦١ - ٤٧٨)، الموسوعة الميسرة في الأديان (٢/٥٦٤ - ٦٤٣)، دائرة معارف القرن العشرين (١٩٨ - ٢٤٩)، دائرة المعارف الحديثة (٦٣ - ٥٢٥)، قاموس الأديان الكبرى (١١٨)، اليهودية والنصرانية للخلف (٣٧٢ - ٣٧٦)، الموجز في الأديان (٧٩).

(٢) انظر: السابق.

(٣) انظر: السابق.

(٤) انظر: السابق .

– **أصحاب مقدونيوس**[1]: وكان من رهبان القسطنطينية، كان يقول إن عيسى – عليه السلام – عبد ومخلوق، إنسان نبي رسول الله كسائر الرسل.

– **فرقة آبيون**[2]: وهم أتباع قسيس «أبيون» كانت هذه الفرقة تؤمن بجميع شرائع موسى – عليه السلام –، وتعتبر عيسى – عليه السلام – هو المسيح المنتظر، وتنكر ألوهية المسيح وتعتبره مجرد بشر رسول، وقد بادت هذه الفرقة.

– **فرقة البربرانية**[3]: وهم يقولون إن عيسى وأمه إلهان من دون الله عز وجل، وهذه الفرقة قد بادت.

– **فرقة المرقيونيين**[4]: تنسب إلى قسيس يدعى «مرقيون» يقولون بوجود إلهين:

أحدهما: العادل الذي أنزل التوراة على موسى عليه السلام، وجعل شعبه شعباً مختاراً.

الثاني: الذي تمثل بشخصية عيسى – عليه السلام – الذي خلص الإنسان من خطاياه.

– **فرقة اليان**[5]: تؤله المسيح، وتقرر أنه ابن الله، وترى أن القتل والصلب كانا على الخيال والظن لا على الحقيقة.

– **فرقة التثليث**[6]: زعيمتها كنيسة الإسكندرية ، يقولون إن الإله ثلاثة أقانيم: الأب،

---

(١) انظر: انظر: الفصل (١/٦٤ – ٦٦)، الملل والنحل (١٠١ – ١٠٢)، المسيحية ص(١٩٩ – ٢١٨)، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند (٤٦١ – ٤٧٨)، الموسوعة الميسرة في الأديان (٢/٥٦٤ – ٦٤٣)، دائرة معارف القرن العشرين (١٩٨ – ٢٤٩)، دائرة المعارف الحديثة (٦٣ – ٥٢٥)، قاموس الأديان الكبرى (١١٨)، اليهودية والنصرانية للخلف (٣٧٢ – ٣٧٦)، الموجز في الأديان (٧٩).

(٢) انظر: السابق.

(٣) انظر: السابق.

(٤) انظر: السابق.

(٥) انظر: السابق.

(٦) انظر: السابق.

الابن، وروح القدس، وأصبحت هذه الفرقة فيما بعد المذهب المسيحي الرسمي لجميع المسيحيين.

– **فرقة المارونية**[1]: تنسب إلى القديس «مارون» يقولون بأن للمسيح طبيعتين: طبيعة إلهية، وطبيعة ناسوتية – ذلك بأن الله تبارك وتعالى اتخذ جسد المسيح له صورة ، وحل بين الناس بصورة إنسان، هو المسيح عيسى عليه السلام– وله مشيئة واحدة.

– **الجزويت**[2]: مؤسسها القس الفرنسي «أنياس لايولا»، تتستر هذه الفرقة خلف أعمال البر ،كإنشاء المدارس والمستشفيات في شتى بقاع العالم ، وتظهر العطف على المرضى ، وتلزم أعضاءها باصطناع التواضع لاستقطاب الناس إليها، وإلى الدين النصراني.

– **المورمون**[3]: مؤسسها هو الأمريكي «يوسف سميث»، وهي فرقة جديدة تقول بتأليه عيسى — عليه السلام –.

– **الأبوس ديى**[4]: مؤسسها القس الأسباني «خوسيه ماريا» وهي فرقة جديدة تقول بتأليه عيسى — عليه السلام –.

---

(١) انظر: انظر: الفصل (٦٤/١ — ٦٦)، الملل والنحل (١٠١ — ١٠٢)، المسيحية ص(١٩٩ — ٢١٨)، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند (٤٦١ — ٤٧٨)، الموسوعة الميسرة في الأديان (٥٦٤/٢ — ٦٤٣)، دائرة معارف القرن العشرين (١٩٨ — ٢٤٩)، دائرة المعارف الحديثة (٦٣ — ٥٢٥)، قاموس الأديان الكبرى (١١٨)، اليهودية والنصرانية للخلف (٣٧٢ — ٣٧٦)، الموجز في الأديان (٧٩).

(٢) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان (٥٦٤/٢ — ٦٤٣)، دائرة معارف القرن العشرين (١٩٨ — ٢٤٩)، دائرة المعارف الحديثة (٦٣ — ٥٢٥)، قاموس الأديان الكبرى (١١٨).

(٣) انظر: السابق.

(٤) انظر: السابق.

المطلب الثاني: أسباب انحراف النصارى[1]

إن انحراف النصارى في دياناتهم قائم على أسباب عدة، تولدت وانبعثت فيهم عقب أحداث تاريخية عاصرها النصارى في تاريخهم، وحتى نستطيع أن نقف على تلك الأسباب لابد أن نستعرض الأحداث التاريخية التي مرت عليهم حتى نتبين الأسباب، وندرك الآثار.

جاءت دعوة عيسى – عليه السلام – خاصة ببني إسرائيل، دعوةً سماوية سامية، فاكتسح – عليه السلام – بدعوته كل ما يعتز به اليهود من ضمانات - باعتبار أنهم شعب الله المختار كما يزعمون-؛ إذ عَلّم الناس أن الله - عز وجل- إله لجميع الشعوب ، وأنه ليس هناك شعب مختار.

إن هذه الدعوة لعيسى – عليه السلام – وأتباعه وفق تلك المبادئ، كانت السبب في إثارة عداء اليهود وسخطهم؛ حيث خاف اليهود من انتشار دعوته، فأغروا به في زمنه الحاكم الروماني، وكذبوا وتقولوا عليه، فغضب الحاكم الروماني، وأمر بالقبض عليه وصلبه ، إلا أن الله

---

(١) انظر: هداية الحيارى (٢١٧ – ٢٤٠)، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن قيم الجوزية، المكتب العصرية. بيروت (ط٢)، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ص(٢/ ٢١٠ – ٢١٧)، مقامع الصلبان: أحمد بن عبد الصمد الخزرجي ت. عبد المجيد الشرفي. الشركة التونسية – تونس ١٩٧٥م، ص(٧٤)، قصة الحضارة (١١/ ٢٤٩، ٣٧١)، المسيحية: أحمد شلبي (٧١ – ٧٥) (٩٨ – ١١٣)، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية: محمد طاهر، محمد المجذوب، دار الشواف، الرياض، ص(١٣ – ٣٧)، قصة الديانات (٣٩٨ – ٤٠٠)، النصرانية في الميزان (٣٣)، المسيحية بين التوحيد والتثليث وموقف الإسلام منها: د. عبد المنعم فؤاد، مكتبة العبيكان، الرياض، (ط١)، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، ص(١٠٩ – ١٢٧)، اليهودية والمسيحية وأديان الهند (٣٣٧ – ٣٥٤)، المسيحية: لساجد مير (٤٠، ٧٣ – ٩٢)، تحريف رسالة المسيح (٧٩ – ١٣١ – ٢٩٥ – ٣٨٥)، اليهودية والنصرانية للخلف (٣٤٩ – ٣٦٨)، مصادر الديانة المصرية (٨٧ – ١٠٨)، تأثير المسيحية بالأديان الوضعية (٤٩ – ٩٣)، الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه (٨٩ – ٩٩)، العبادات في الأديان السماوية – اليهودية – المسيحية – الإسلام: عبد الرازق رحيم الموحى، صفحات للدراسات. سورية (ط٢)، ٢٠٠٧م، ص(٢٠١ – ٢١٣)، دائرة معارف القرن العشرين (١٠/ ١٩٨ – ٢١٢)، الموسوعة الميسرة للأديان (٢/ ٥٦٥ – ٥٧٣)، محاضرات في النصرانية، الإمام محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، مصر، ص(٢٦، ٣٥، ٦٨)، الفرق والمذاهب المسيحية: نهاد خياطة، ص(٨٤).

كتب له النجاة من هذه المؤامرة برفعه إليه ، وشبه لهم بآخر فقاموا بصلبه، قال تعالى مكذبًا لهم: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ (1) .

لم يكتف اليهود بذلك؛ بل سعوا إلى اضطهاد أتباع عيسى – عليه السلام – بالقتل والصلب والتنكيل.

وقد نَقَلت كتب النصارى أن كهنة اليهود حملوا راية التصدي لدعوة المسيح – عليه السلام –، ومارسوا الاضطهاد الشديد للنصارى ، وممن كانوا يمارسون الاضطهاد للنصارى بولس اليهودي الذي اعتنق النصرانية، فتحول من مضطهد للنصارى إلى مؤسس للديانة النصرانية المحرفة.

بل وصار له شأن كبير في النصرانية، وتحريفها، وما اصطبغت به في القرون التالية، فقد قام بولس برحلات تبشيريه لدعوة جميع الأمم لاعتناق الديانة النصرانية، وهيأ لذلك جميع الوسائل والسبل لحل ما يقع من إشكالات في الديانة النصرانية لدى تلك الأمم الراغبة باعتناق النصرانية ، فقام بعقد مجمع للأتباع في أورشليم، وجاءت قرارات المجمع موافقة لآرائه، وذلك بإعفاء الأمميين(2) من العمل بالشريعة الموسوية، وقبولهم في الديانة النصرانية بعد أن يقلعوا عن أكل ما ذبح للأصنام، والزنا، والمخنوق، والدم، ومن خلال رحلات بولس التبشيرية حاول بولس – بجرأة منقطعة النظير–أن يوفق بين المسيحية وبين العقائد الوثنية والفلسفات اليونانية ، الأمر الذي هيأ الطريق، وفتح باب النصرانية على مصراعيه لدخول أمم من حضارات وثقافات وعقائد مختلفة في الديانة النصرانية.

ومع هذا التوسع في الدعوة النصرانية اندفع اليهود إلى تجنيد قوافل لحملات اضطهاد للنصارى منقطعة النظير؛ سواء على أيديهم، أو من خلال تشويش أفكار الحكام الرومان عليهم.

---

(1) سورة النساء، الآية: (١٥٧).

(2) الأمميين هم الداخلون في الديانة النصرانية من غير بني إسرائيل.

فبدأت تتوالى على النصارى حملات اضطهاد منظمة من قِبل الحكام الرومان، واستمر اضطهاد النصارى أربعة قرون، و قد كانت هذه الاضطهادات نابعة من عدة أسباب، أهمها:

١- وشايات اليهود بالنصارى لدى الأباطرة الرومان، وما لمسه الأباطرة من تهديد بانتشار هذه الديانة، بما تحمله من تعاليم تدعو للمساواة، والأخذ بيد الفقراء.

٢ – اجتماعات النصارى السرية لمباشرة طقوسهم الدينية الخاصة، ورفضهم الخدمة في الجيش الروماني، أيضًا ما أذاعوه من تنبؤات صريحة تتوعد بكوارث ومحن تنتظر الإمبراطورية ، وتعصبهم لديانتهم، ورفضهم عبادة الأباطرة الرومان والآلهة الوثنية.

٣- قلق الأباطرة الرومان من اجتماعات النصارى ، ومن رفضهم الخضوع لهم .

لهذا قام الحكام الرومان على النصارى بحملات اضطهاد بشعة ومتوالية، ابتدأت بحملة الإمبراطور نيرون عام (٦٨م) الذي ألقى القبض على بولس، وجماعة من أتباعه، فقتلهم.

يقول الدكتور أحمد شلبي عن اضطهاد أباطرة الروم للنصارى: وأبشع حركات الاضطهاد التي عاناها اليهود في القرون، هي تلك التي أنزلها الحاكم الروماني نيرون (٦٨)، فقد ألقى بعضهم للوحوش الضارية تنهش أجسادهم، وأمر فطليت أجساد بعضهم بالقار، وأشعلت لتكون مصابيح بعض الاحتفالات التي يقيمها نيرون في حدائق قصره، وفي القرن الثاني اعتُبر المسيحيون أنجاسًا ، لا يسمح لهم بدخول الحمامات والمحال العامة، ويلقون للوحوش الضارية في مدرج عام يضم خصومهم الذين يحضرون للتلهي بمشاهدة هذه المناظر، وسجل القرن الثالث صورًا أخرى من أبشع ألوان التعذيب والاضطهاد للمسيحيين، وذلك في عهد الإمبراطور دقلديانوس، فقد أمر بهدم كنائس المسيحية، وإعدام كتبها المقدسة وآثار آبائها، وقرر اعتبار المسيحيين مدنسين وأسقطت حقوقهم المدنية، وأمر بإلقاء القبض على الكهان وسائر رجال الدين، وتجريعهم العذاب ألوانًا، ونفذت هذه التعليمات...فامتلأت السجون بالمسيحيين، واستشهد الكثيرون بعد أن مزقت أجسادهم بالسياط والمخالب الحديدية، أو أحرقت بالنار، أو قطعت إربًا، أو طرحت للوحوش

الضارية، وغير هذا من وجوه التعذيب، وقد سمي عصره عصر الشهداء[(١)].

وفي بداية القرن الرابع عشر تغيرت الأحوال في عهد الإمبراطور قسطنطين[(٢)] الأول الذي أصدر مراسيم التسامح، رغم أنه كان وثنيًا ، ولما دخل في الديانة النصرانية قويت النصرانية في عصره، وتأسست جمعيات ثورية باسم الدين لتأخذ على عاتقها استئصال شأفة الملحدين من بقايا الرومان الوثنيين، والمسيحيين أيضًا.

ولما قام بولس بالتوفيق بين الأفكار والعقائد الوثنية والنصرانية، تولدت لدى الديانة النصرانية عقائد جديدة نتج عنها صراعات وافتراق بين أتباع الديانة النصرانية، فقامت المجامع الكنيسية لتقرير تلك العقائد ، وأول مجمع عقد هو مجمع نيقية[(٣)] الذي عقده الإمبراطور قسطنطين، وفيه تقررت عقيدة التثليث، وتوالت المجامع الكنيسية لتوفيق الاختلافات التي تقع بين النصارى، ولتقرير ما يستجد من عقائد وشرائع على الديانة النصرانية.

بلغ عدد المجامع عشرة مجامع، اجتمع فيها الآلاف من القساوسة والرهبان الذين يكفر بعضهم بعضاً، ويلعن بعضهم بعضًا، فعلى اللعنة قام دينهم بشهادة بعضهم على بعض.

في نهاية القرن الرابع عشر أُنشئت محاكم التفتيش التي اعتبرت مراكز بشعة للاضطهاد، وتعذيب أعضائها المخالفين من الرهبان ورجال العلم والفكر، وقد كان الهدف من وراء إنشاء هذه المحاكم، هو قتل حرية الفكر بأبشع أداة.

لهذا تعتبر تلك المحاكم صورة من صور الاضطهاد الديني الذي سلكه رجال الكنيسة على

---

(١) انظر: المسيحية (٧٢).

(٢) قسطنطين الأول الملقب قسطنطين العظيم توفي ٣٣٧م، أول إمبراطور روماني يشهد له باعتناق المسيحية، هو من دعا لعقد مجمع نيقيه ، بفضله أصبحت النصرانية الديانة الرسمية للإمبراطورية الرومانية. انظر: قاموس الأديان الكبرى، (١٤٣).

(٣) مجمع نيقية هو أول مجمع عالمي للكنسية المسيحية ، عقد في نيقية (في تركيا) عام (٣٢٥م)، دعا إليه الإمبراطور قسطنطين الأول، عقد للتغلب على معارضة الكنيسة الشرقية من خلال الأريوسية ، أدان المجمع آريوس، وأجمع على عقيدة التثليث. انظر: قاموس الأديان الكبرى الثلاث (٥٢١).

المخالفين لهم من رجال العلم والفكر وغيرهم من المخالفين.

وفي القرون التالية سن رجال الدين قوانين جائرة تقضي بأن يحمل الأبناء والأحفاد تبعة الجرم الذي يتهم به الآباء، فيسلبون حقهم في مباشرة الكثير من الوظائف، ومزاولة الكثير من المهن.

هكذا تاريخ النصارى، كان تاريخًا مملوءًا بالقتل، والدماء، والحرق، والمنازعات، والانقسام والافتراق، والثقافات، والعقائد الوثنية الدخيلة، والمصادر المحرفة دكتاتورية رجال الكنيسة.

فمن خلال هذه الأحداث الدامية برزت أهم الأسباب التي أدت إلى انحراف النصارى:

- الاضطهاد الذي توالى على النصارى منذ عهد مبكر على يد اليهود، ثم انتقلت على أيدي أباطرة الرومان ورجال الدين.

- امتلاء قلوب النصارى بالحقد، والكراهية، والرغبة بالثأر.

- تشتت النصارى، وانتشارهم في أرجاء الإمبراطورية.

- هلاك أئمة النصارى نتيجة القتل والتشريد.

- ضياع الكتب المقدسة، وانقطاع أسانيد الكتب المعتبرة لديهم.

- إلزام النصارى بالخضوع، والاندماج بشعوب الإمبراطورية الرومانية.

- دخول بولس اليهودي في الديانة النصرانية، وذلك لهدم النصرانية من الداخل.

- انتقال الديانة النصرانية من كونها ديانة خاصة ببني إسرائيل إلى ديانة عالمية على يد بولس.

- إدخال بعض التعاليم اليهودية في الديانة المسيحية لجذب الأتباع من الشعب اليهودي على يد بولس.

– استعارة بولس أفكارًا من الفلسفة اليونانية، كفكرة اتصال الإله بالأرض عن طريق الكلمة لاسترضاء المثقفين.

– اقتباس بولس الكثير من الأفكار، والعقائد، والطقوس، والثقافات المختلفة من الديانة اليهودية، والأديان الوثنية، والحياة الشرقية والرومانية.

– فمن الأفكار الفلسفية الإغريقية التي اقتبست للديانة المسيحية «الكلمة»، والتي ترادف الإله عند الفلسفة الإغريقية ، ومن اليهودية فكرة الأبوة بين الله والناس.

– ومن الحياة الشرقية الفنون والرسوم التي ازدانت بها الكنائس، والصور، والبخور، والأنغام. ومن الحياة الرومانية النظم التي اتبعتها الإمبراطورية الرومانية في توزيع السلطة.

– تدفق الكثير من الشعوب الوثنية للدخول في الديانة النصرانية على إثر إدخال بولس شعائر وعقائد لها صلة بديانات هذه الشعوب، واتجاهاتهم في الديانة المسيحية، وذلك بزعم إزالة الهوة بين تلك الديانات والديانة النصرانية، والتقريب والتوفيق بينها.

– تعظيم بولس، واسترضاؤه طبقة السادة، والطبقة الحاكمة، وجعل طاعتهم دينًا، كطاعة عيسى — عليه السلام –.

– نفور الشرقيين من الديانة النصرانية بسبب العقائد، والشرائع التي أدخلها بولس، وابتدعها في الديانة النصرانية؛ لترغيب الشعوب الأخرى.

– انقسام النصارى إلى فرق وطوائف، وأحزاب متناحرة، وآراء متضاربة بينهم ، دفع كل فرقة، وطائفة، وحزب للاستقلال بتنظيم خاص بها.

– قيام مجامع كنسية لتقرير ما يستجد من عقائد وشرائع.

– تأييد الإمبراطور الروماني قسطنطين الأول للديانة النصرانية، وإلزامه جميع المواطنين الوثنيين أن يكونوا أعضاء في الكنيسة، مما ساعد على انتشار الديانة، واندماجها بالكثير من

الأفكار، والثقافات، والفنون الإغريقية.

- اختلاف مبادئ وأحكام الدين المسيحي عند المسيحيين لدى عوامهم، ومفكريهم، فلكل منهم نوع يتبعه.

- سيطرة رجال الدين، ورؤساء الكنائس على السلطان السياسي، والسلطان الديني، مما جذب الكثير من الجهلة للانضمام إلى رجال الكنيسة؛ لينعموا بما ينعم به رجال الكنيسة من نفوذ سياسي وديني.

- ازدياد قوة الكنيسة، وأهميتها مما دفع رجال الكنيسة إلى زيادة عدد الطقوس المقدسة في الديانة النصرانية، والتنويع بينها.

- تدخل الأباطرة في النزاعات العقدية، وترجيحهم لكفة حزب على آخر، ودعوتهم لانعقاد المجامع؛ بغية إضفاء صبغة شرعية على اختياراتهم، سواء كانت دوافعهم دينية، أو سياسية بحتة، أو دينية سياسية معًا.

- تقديس رجال الكنيسة والرهبان، وزعم العصمة لهم، وإعطاؤهم حق التشريع، واعتبارهم ورثة المسيح.

- فساد رجال الكنيسة، وهبوط المستوى العلمي والأخلاقي ، حتى العبادة شابها الكثير من الهبوط والفساد.